القصص

دراسة عن اسخيلوس

المتضرعات

The Suppliant Women

للأستاذ دريني خشبه

مقدمة :

كتب إسخيلوس هذه الثلاثية الرائعة وهو شاب في مقتبل حياته ، ولم يبق منها ، وا أسفاه ، غير الدرامة الأولى ، أما الثانية والثالثة فما تزالان مفقودتين . وقد استطاع العلماء الجهابذة من الألمان الحصول على مغزاها ، وبذا تمت لنا الثلاثية بموضوعها وإن لم تتم مبناها . والدرامة تنبع من أسطورة يو التي نشرتها الرسالة آنفا والتي تتلخص في أن زيوس كبير أرباب الأولمب أحب الفتاة يو حباً مبرحا فكان يختلف إليها سراً مخافة أن تضبطه وإياها زوجه حيرا فيحدث ما لا تحمد عقباه ... ولكن ... وقع ما خافه زيوس ... فبينما كان يلهو بحبيبته مرة إذ لمح زوجه مقبلة ... فأسقط في يده .. وسحر يو بقرة بيضاء ... وراح يدعي أنه يرعاها ... ولكن الحيلة لم تنطل على حيرا فسألته أن يمنحها البقرة علامة على حبه لها ، فأجابها ... وناطت بها حيرا خادمها الفظيع آرجس ، ذا المائة عين يحرسها ويلحظها أنى سارت وأيان توجهت .. وذاقت يو الأمرين من هذه الحال حتى لقيت أباها رب أحد الأنهار مرة فتحدثت إليه بما كان من أمرها مع زيوس .. ولم يطق سيد الأولمب صبراً ، فأنفذ ولده الصناع هرمز إلى آرجس ليحتال عليه ويقتله و تنفذ يو من شره ... وأفلح هرمز في مهمته ، ولكن حيرا نقمت على البقرة وسلطت عليها ذبابا سماماً ماتي يقرصها ويضها حتى تصالح زيوس وحيرا ، ورجاها أن تطلق سراح يو نهائيا ، على شريطة أن تنطلق من هيلاس كلها !! وقبل زيوس ، وأعاد إلى يو صورتها ... وأنفذها إلى ... شطئان مصر ... حيث تزوجت بفرعونها العظيم ... وكان من نسلها هؤلاء النسوة المتضرعات ، اللائي يتحدث إسخيلوس عنهن في هذه الثلاثية

ونحن نعتمد في تلخيص الدرامة الأولى الباقية على ترجمة لويس كامبل (طبعة إكسفورد) الشهيرة ، أما الدرامتان الأخريان المفقودتان (مصلحات فراش النوم) و (دانايديز) كما ذكرها الأستاذ جلبرت موري في تاريخه عن الأدب الأغريقي (طبعة أبلتون ص ٢١٧) فسنلخصهما معاً معتمدين في ذلك على الأستاذ ه . ا . جيبر ص ١٤٢

— ١ —

يرجع بنا إسخيلوس إلى عصر موغل في القدم ، حتى ليكاد أن يكون عصرا خرافياً

ذلك هو العصر الذي كان فيه إيجبتوس أميراً على مصر السفلى ... إيجبتوس الذي لا يعرفه التاريخ ...

وكان لهذا الأمير خمسون ابناً ، وكان لأخيه دانوس خمسون ابنة ، فأراد إيجبتوس أن يزوج أبناءه الخمسين من بنات أخيه الخمسين ، برغم ما في هذا الزواج من مخالفة لشرائع الدين في مصر في هذا الزمان ، ذلك أن هذا الدين الذي كان يبيح زواج الأخ من أخته ، كان مع ذلك يحرم زواج ابن العم من بنت العم ، ويعتبره — لو تم — نوعاً من الزنى

— ٢ —

لذلك صمم دانوس ، التقي الورع المتعبد ، المتفاني في طاعة الآلهة ، ألا يتم هذا الزواج .

وسبب آخر جعل دانوس يغلو في تصميمه ، ويتشبث به ، برغم ما تجره عليه عداوة أخيه ، أمير مصر العظيم ، من بلاء وأرزاء

ذلك أنه كان لا ينوي تزويج واحدة من بناته الخمسين قبل أن يودع الحياة ، وقبل أن يجيئه الموت ، وقبل أن يجرع كأس المنون حتف أنفه ! وكيف ؟

لقد ذكر دانوس ، حين كلمه أخوه الأمير في بناته الخمسين ، تلك الرؤيا المفزعة التي أريها إذ هو شاب في غضارة الشباب ، فأقضت مضجعه ، وطمست مباهج الحياة في قلبه ، وتركته لا يفكر إلا في هذه النهاية المريرة التي تدحرجه إلى شفاها الأيام ؛ ويقذف به في هاويتها الزمان الغدار !!

رأى دانوس ، إذ هو نائم فوق ضفاف النيل السندسية المعشوشبة ، في ليلة مقمرة من ليالي الصيف الجميل الفضي ، أن

زوجاً من أزواج بناته يقتله ، ويغمد خنجره ذا القبضة الذهبية فى أحشائه ، ثم يقذف بجثته الممزقة بعد ذلك فى النيل ، فتحملها أواذيه الى اليم المصطخب ، الى حيث لا يدرك لها قرار ! !

« إذن لن أزوج واحدة من بناتى ! ! »

وذهب فى الأرض على وجهه يلقى الكهان وسدنة الآلهة ليفسروا له الرؤيا ، فما زاده لفؤهم إلا ترويعاً ، لأنهم جميعاً أكدوها له ... وإذن ... « فلن أزوج واحدة من بناتى ! ! »

— ٣ —

وألح ايجبتوس على أخيه ، ولكن دانوس ظل يعلله .. ويعلله وأعد دانوس مركباً كبيراً حمل فيه بناته ... وأبحر فى ظلام الليل ... إلى مملكة جدته ... جدته يو ... حبيبة زيوس سيد الأولب وكبير الآلهة .... ليبارك ذراريها ، ويسهر على أحفادها !

وقد ضرب فى البحر ، ولعبت بمركبه الأنواء ، وطفق يلقى من مور اليم وتناحر الموج ما أرخص له الموت ... لولا أن استوى على شاطئ آرجوس ، فنزل وقد بلغ منه الأين ، وحطمه النصب

— ٤ —

وسار ببناته حتى بعد قليلا عن الشاطئ ، وحتى كان فى البقعة المباركة المطهرة ، التى جعلتها آرجوس حرماً للآلهة ، وأقامت فيها التماثيل لأربابها . فوقف دانوس يعرّف بناته بسادة الأولب ، وانطلق البنات [1] يمنين لآلهة هيلاس ، ويقرئهن السلام من آلهة النيل ، وطفقن يهززن بنشيد طويل حلو ، تنضحه الدموع وتصهره حرق فى الضلوع ، ويفيض منه الموجعان الشجو والشكو ! !

ولهن فى صلاتهن وتمنيهن ، وإذا رجل طوال سامق ، بادى الهيبة موفور الوقار يخرج إليهن لجأة من الأدغال القريبة ، فيقف لحظة يرنو إليهن ، ثم يتقدم فيسألهن :

— « مَن النسوةُ المهاجرات فى هذا الزى الغريب ! منظر عجب وآلهة الأولب ! الشاكيات الباكيات فى ثياب بربرية ، لا أرجيفية ولا إغريقية ؟ ! منْ ؟ ما هذه الأفنان الناضرة ؟ أمن الزيتون هى ! وفم وضعتُها عند أقدام التماثيل يا مهاجرات ؟ تماثيل آلهتنا ، وأوثان أربابنا الباكة ؟ »

وتتقدم اليه كبراهن فتسائله :

— « إن يكن قد بدهك زينا فمن أنت ! أمواطن من آرجوليس ؟ أم موكل بهذا الحرم تحرسه وتقوم عليه ؟ أم عظيم من آرجوس وناب من حكامها ؟ هل للسيد أن يجيب ؟ ! »

وهش الرجل وبش ، وتبسم ضاحكا من قول الفتاة ، ثم تلطف فذكر له أن پيلاسجوس بن پاليختون ، ملك آرجوس وحامى ذمارها ؛ وأوضح فذكر شعبه وأملاكه ومدائنه ، وهذا السهل وذاك الجبل وتلك الوهاد . . . وهاتيك البطاح

واهتزت الفتاة من رهبة وقالت : « إذن . . . فنحن نمت إلى آرجوس بوشائج القربى ، نحن يا مولاى من نسل البقرة المشردة على حفاف النيل ... هرعنا إلى آرجوس نلتمس الحمى ! »

— « من نسل البقرة المشردة ؟ وتمُتْنَ إلى آرجوس بوشائج القربى ؟ عجيب وآلهة الأولب ؟ إن ملامحكن لا تدل على أصل إغريقى ألبتة ! ! وربما كنتن من هذه القبائل الضاربة فى أباطح إفريقيا ... من مصر ... أو من أثيوبيا يا بنات ! أو عسى أن تكن هنديات من اللائى يضربن أخفاذ الابل هنا وهناك فى جنبات آسيا ... آه ! لا لا ، بل عسى أن تكن أمازونات يا فتيات ! ! أمازونات لا يعرفن الرجال قط ... يتغذين باللحم النيء ! ... خبرنى بحق الآلهة عليكن ... إن كنتن تمتن بوشيجة إلى آرجوس فكيف كان ذلك ؟ ... »

— « قد يعرف الملك ما كان بين سيد الأولب وبين يو من علائق ! »

— « أجل ، أعرف . . . أعرف . . . ولكن ما ذا كانت عاقبة يو ؟ »

— « لقد سحرتها حيرا بقرة [1] ... »

— « وزيوس ؟ ! ... »

— « سحر نفسه عجلا جسدا له خوار ! »

— « ثم ... ... »

— « ثم لم تبال به حيرا ، بل وكلت ببقرتها حارساً غليظاً ذا مائة عين ! »

(١) بنات دانوس من خورس هذه الدرامة

(١) للمأثور غير ما ذكر إسخيلوس ، فزيوس هو الذى سحرها

— « مائة عين ؟ حارس ذو مائة عين من أجل بقرة واحدة ؟ يالله من راع ! »

— « أجل ... آرجس أيها الملك ، الذى قتله هرمز »

— « ولما قتله هرمز ، هل أطلق سراح البقرة ؟ »

— « لا ، ولكنها أرسلت عليها الذبابة السامة تعضها ، وتنغص حياتها ، وتزيدها شقاء على شقاء

— « وأين انتهى بها المطاف يا فتاة ! »

— « خاضت البحر اللجى حتى كانت عند شواطئ مصر حيث تتدفق أمواه النيل . وثمة أعاد إليها زيوس شبابها وعنفوانها وأولدها إبافوس . . . منشئ ممفيس (١)

— « وهلا تذكرين لها أطفالاً آخرين ؟ »

— « بلى . ولدها « بل » وقد أنجب بل ولدين كريمين ، أبانا هذا الشيخ . . . و . . .

— « أباكم ؟ ما اسمه ؟ . . .

— « دانوس أيها الملك ونحن بناته الخمسون . . .

— « وأخوه ؟ ما اسم أخيه ؟

— « إيجبتوس أمير مصر وملكها . . . والآن ! هل تأكدت من صدق منشئنا ؟

— « لا ريب ! حصحص الحق ! ولكن اذكرى لى ! فيم هاجرتن من بلادكن ؟ /

— « أوه !! إنه لأمر يهيج أشجاننا أيها الملك ! ؟ يا للدنيا التى تكظها الآلام . . .

— « إن لكن لشكاة يا فتيات ، فلا تخشين أن تبحن بها ، إنكن بحضرة ملك آرجوس وإن هذه الأفنان التى وضعتنها عند أقدام آلهتنا لتتكلم عن شكاتكن ! . . .

— « إن كان لا بد أن تعرف ، فقد رفضنا أن نكون خولا لعمنا إيجبتوس ! لقد أرادنا على أن نكون متعة لأبنائه الخمسين فرفضنا ، لأن شرائعنا تأبى ذلك ... وها قد لجأنا إليك لتحمينا فلا تسلمنا لعمنا أبدا ! »

— « يالهول ! ! إنى لألمح لهب الحرب يومض فى ظلماء المستقبل ! »

— « ولكن زيوس سيكون إلى جانبك ! »

— « أواه ! قد أجر الخراب على آرجوس ! من يستطيع أن يمنع إيجبتوس حقه فيكن ؟ »

— « الآلهة تستطيع ذلك إذا أبدت قضيتنا وآزرتنا أيها الملك . . . الآلهة تنصر الفضيلة دائماً »

— « على كل . . . أنا لا أستطيع أن أبرم فى ذلك أمراً دون أن أستشير شعبى ورجال دولتى ! »

— « أنت الحكومة وأنت الشعب وأنت الدولة ! »

— « كلا يا فتيات ! أنا ملك آرجوس فحسب ! لا بد من الشورى ! »

— « إذن ! . . .

— « إذن ماذا يا فتيات !

— « إذن ... وحق آلهتك ... لنشتقن أنفسنا فى جذوع هذه التماثيل ! ولتكونن مأساتنا خزياً أبدياً فى شرف آرجوس لا تمحوه الأيام ! !

— « واحربا ! على رسلكن يا فتيات ! لا تسئن الظن بشرف آرجوس وشجاعة ملكها . . . ولكنا هنا قلب واحد ينبض بأحاسيس واحدة ! بيد أنى أدلكن على مخرج من هذا المأزق الحرج ... ليذهب أبوكن ـ هذا الشيخ ـ بهذه الأفنان الناضرة ، فليلقها لدى أقدام الآلهة فى معبد المدينة حيث يعكف الشعب على أربابه يبتهل إليها ويصلى لها ... فاذا سأله فى ذلك أحد ، فليث شكواه ، وليذرف دموعه ، وليكتسب إلى جانبه الجماهير الحاشدة التى تحكم باسمها ونستمد منها سلطاننا ! فهنالك ، وهنالك فقط ، يستطيع ملك آرجوس أن يؤيدكن ، وأن يحميكن ... أما أن أعدكن بالحماية من غير أن أرجع إلى شعبى ... فـ ... فأنا أخشى أن يقولوا إنى أذهبت ريحهم وهرقت دماءهم فيما لم يكونوا منه بسبيل ! ! »

— ٥ —

وينفذ الملك مرشداً مع دانوس يده على الطريق إلى معبد آرجوس الجامع ، ويودع البنات لينطلق بدوره ، فيؤيد قضيتهن بين وزرائه ، وليرقق قلوب الشعب من أجلهن ، وليضمن لهن مؤازرة آرجوس كلها

(١) هكذا تزعم أساطير اليونان عن نشر مدائن مصر القديمة ويرجع الفضل إليها

ويأخذ الفتيات فى صلاة طويلة كلما آمال وكلما أمانى ، ضراعة وكلما ابتهال ، وكلما تذكير للآلهة بما ساق بذرية لنساء ، ثم ثناء على أرباب الأولب لا ينتهى !

— ٦ —

وفيما هن يصلين هذه الصلاة الطويلة ، إذا أبوهن ، دانوس يخ ، يدخل عليهن فجأة ، حاملاً إليهن البشرى

— « ليهنكن يا فتيات ! ليهنكن ! لقد ضمنا أصوات شعب وتأييد آرجوس ! »

— « أبانا ! بوركت ! بالبشرى ! ولكن ... قص علينا يف تم ذلك بحق الآلهة عليك ! »

— « ما كدت أجوس خلال آرجوس حتى تكبكب شعب حولى ، مأخوذاً بغرابة زيى وعجيب هيئتى ... وزادهم جلالاً أنى ظهرت فيهم كضيف للملك وصديق لآرجولبس ؛ لما نثرت الأقنان عند أقدام الآلهة ، وصليت وبكيت ، وبثثت لكواى ،زنى الأرجيف الكرماء لى ، فناشدتهم أن يؤازرونى ، ويشدوا عضدى ، ضدعدوى الناشم الذى أراد أن يفضحنى فيكن ، ويجر الخزى عليكن . فهتفوا لى ، وحيونى تحية الأبناء الأمناء ، وأعطونى موثقهم على افتدائى بأزكى الدماء ... وعاهدونى على أن يذودوا العالين دونى ... ثم هالنى أنى أرى السماء ترسل أضواءها فتملأ أركان المعبد بهاءً وتكسبها رونقاً ورواء ... وأقبل الملك فهتف الشعب له ، والتفوا حوله ، فخطبهم فى شأنى وحذرهم أن يغضبوا زيوس ربهم إذا لم يؤازرونى ، وينصرونى ، ويؤيدوا حق على باطل عدوى . فهتفوا بلسان واحد أن كيف لا ينصرون لاجئاً إلى قدس زيوس ، مستجيراً به ، مستشفعاً بآرجوس يرجو حماها ! ثم عرضوا آخر الأمر أن أقيم بين ظهرانيهم كواحد منهم ، وأن تكون لكن من الحقوق ما للأرجيفيات ، غير خائفات ولا مروعات ... هذه بإيجاز قصتى ، وهذه أقضية السماء فاشكرن لها وتبتلن »

(البقية فى العدد القادم)

دريني خشبة

لا يزعجنك فصل الصيف
ولا تهولنك حرارة الجو
فقد أعدت
شركة مصر لنسج الحرير «عبد الفتاح اللوزى بك سابقاً»
خصيصاً
لشركة بيع المصنوعات المصرية
أحسن أنواع البدل الحريرية
جديدة فى الرسم — أنيقة فى الكسم
الكميات محدودة ، والصيف على الأبواب ، والفرصة سانحة
فروع الشركة: فؤاد الأول — البواكى — الموسكى — الغورية — السيدة زينب — الاسكندرية — المنصورة — شبين الكوم — الفيوم — المنيا — أسيوط — سوهاج